مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

الموضوعية في المصادر الإسلامية المُؤَسِّسَة لعلم مقارنة الأديان

Neutrality and objectivity at ratifying Islamic sources in Comprative Religion Science's field

د. يوسف العايب
you.gion.bouf@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة

تاريخ الإرسال: 15_05_2021 **تاريخ القبول:** 07_09_2021

الملخـــص:

تحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على نقطة منهجية مهمة جدا في دراسة الأديان، وعادة ما يلجأ إليها النقاد من أجل رد ما أنتجه المسلمون في حقل دراسة الأديان، هذه النقطة المنهجية هي ما مدى التزام علماء الإسلام بالموضوعية في دراستهم للأديان المختلفة؟

ولتحليل هذه النقطة والإجابة على هذا السؤال احتوى المقال على النقاط الآتية: أولا: تعريف الموضوعية، وثانيا: المصادر الإسلامية في دراسة الأديان، وثالثا: الموضوعية في المصادر الإسلامية في دراسة الأديان، رابعا: الالتزام بالموضوعية، ومقدمة وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: الموضوعية، العلمية، مقارنة الأديان، المصادر الإسلامية، ابن حزم، البيروني، الشهرستاني

Abstract:

The current research paper humbly attempts to stress the worth as well the importance of the very concept of scientific objectivity, and to focus on the methodological


مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477- 506 تاريخ النشر: 21-10-2021

approach in the field of theological studies, where critical assessments oftenly have recourse to, in order to rise to the rank muslims have reached and compete with their academic prosperity in the domain of Religion exegesis.This is to point out to which extend the Islamic scholastic commitment to objectivity is a matter of valuableness and worthiness.

Therefore, to answer the actual problematic, we shall go through the main related issues that should be discussed, and represented subsequently:

-To determine with precision the meaning of Objectivity.

-Then, meticulously following the process of induction to show the authenticity of the Islamic Sources in the very specific field of Comparative Religions.

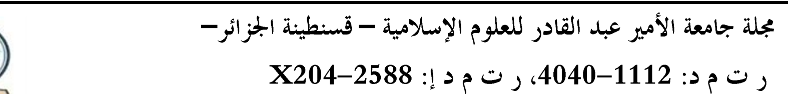
- And, ultimately, following the scientific approach tackled by Islamic scholars's, highlighting dedication into preserving the academic worth of scientific objectivity.

Keywords: Objectivity, comparison of religions, Islamic sources, Ibn Hazm, Al-Biruni, scientific,

المقدمـــة:

إن الاهتمام بالتراث الإسلامي المتعلق بدراسة الظاهرة الدينية أصبح يحتل مكانة متميزة بين الدراسات المختلفة المتعلقة بالأديان وتاريخها وفلسفتها ومناهجها، سواء أكان الغرض منها بيان أهمية الدراسات الإسلامية في مجال الأديان ومساهمتها في التأسيس للدراسات الحديثة المتعلقة بالدين، أو كان الغرض منها النقد والتقويض وإضعاف ما قدمته المدرسة الإسلامية في مجال دراسة الأديان بمختلف مناهجها.

ومهما يكن من أمر، فإن الحَكَمَ في حقل الدراسات العلمية المتخصصة هو الدراسة العلمية والموضوعية البعيدة عن التحيز والتعصب والتهجم والذاتية، والتي تثبت

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

في نتائجها مدى أصالة وجدية وعلمية الدراسات من عدمها، والمتأمل في بعض الدراسات الإسلامية المتأخرة يجدها تحذو حذو بعض الدراسات الغربية المتحيزة التي تحاول الانتقاص من التجربة الإسلامية في دراسة الأديان بل وتحاول تهميشها ونفيها، وتجعل ما أنتجته التجربة الإسلامية من تآليف وكتابات ورسائل مجرد مجموعة من الكتب التمجيدية الدفاعية المتعصبة والمتهجمة على أصحاب الديانات الأخرى.

هذا مذهب قلة من الباحثين الغربين الذين للأسف الشديد تأثرت بهم شرذمة من الباحثين المسلمين، والحقيقة أن إسهام المدرسة الإسلامية في التأسيس الحديث للعلوم المتعلقة بدراسة الأديان لا ينكره إلا متحيز بعيد عن العلمية والموضوعية والإنصاف.

هذا لا يعني تقديس التجربة الإسلامية فيما يتعلق بدراسة الأديان، فلها إيجابيات وعليها مآخذ، ولكن لا بد من وضع كل هذا في سياقه التاريخي وسقفه المعرفي، وعدم تحميل تلك المرحلة وتلك التجربة ما لا تحتمل، وعدم محاكمتها بميزان العصر وعلومه ومناهجه ونتائجه.

وتحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على نقطة منهجية مهمة جدا في دراسة الأديان، وعادة ما يلجأ إليها المنتقصون من أجل رد ما أنتجه المسلمون في حقل دراسة الأديان، هذه النقطة المنهجية هي ما مدى التزام علماء الإسلام بالموضوعية في دراستهم للأديان المختلفة؟

ولتحليل هذه النقطة والإجابة على هذا السؤال احتوى المقال على النقاط الآتية: أولا: تعريف الموضوعية، وثانيا: المصادر الإسلامية في دراسة الأديان، وثالثا: الموضوعية في المصادر الإسلامية في دراسة الأديان، رابعا: الالتزام بالموضوعية، ومقدمة وخاتمة.

أولا: الموضوعية في دراسة الأديان:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477- 506 تاريخ النشر: 21-10-2021



يعرف عبد الوهاب المسيري –رحمه الله– الموضوعية بأنها: "العلم الخالي من القيمية والأحكام الأخلاقية"[1]، وفي موضع آخر يعرفها بقوله: "إدراك الأشياء على ما هي، دون أن يشوهها نظرة ضيقة، أو أهواء أو مصالح، أو تحيزات، أو حب أو كره"[2].

أما عبد الحليم بكار فيعرفها بقوله: "مجموعة من الخطوات والأساليب التي تمكننا من الوقاف على الحقيقة، والتعامل معها على ما هي عليه، بعيدا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية"[3].

ومن المعلوم كما يذكر عامر الحافي أن مصطلح الموضوعية لم يكن مستعملا في تراثنا الإسلامي، إلا أن المضمون المعرفي الذي ينطوي عليه المصطلح يترادف مع مصطلحات أخرى استعملت في التراث الإسلامي وهي الإنصاف والعدل والحياد والنزاهة والتجرد عن الهوى"[4].

وإذا كانت إشكالية الموضوعية مطروحة بشكل كبير في حقل الدراسات الإنسانية والاجتماعية، باعتبارها من الأمور الصعبة التحقق والتطبيق، وذلك لأن الباحث في هذه العلوم لا يستطيع التجرد من خلفياته الفكرية والعقدية والفلسفية، فهو يبقى

[1]– المسيري، عبد الوهاب، إشكالية التحيز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1995، ج2، ص: 416.

[2]– المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، مصر، 1999، ج: 4، ص: 192

[3]– بكار عبد الكريم، فصول غي التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط: 2، 1998، ص: 45.

[4]– الحافي، عامر، الموضوعية في دراسة الأديان، مجلة اسلمة المعرفة، العدد: 60، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2010، ص: 132.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021



دائما متأثرا بهذه الخلفيات والمرجعيات، فإن الحديث عن الموضوعية في الأديان يكتسي نفس الإشكال، باعتبار البحث في الأديان تابع لميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ومما يزيد من صعوبة التحلي بالموضوعية في الدراسات الدينية، هو الحديث عنها أو الكتابة عن الأديان الأخرى في أجواء الصراع بين الأديان، وسيادة جو المجادلات والمناظرات والردود والاتهامات، كما كان هذا في فترة من فترات التاريخ الإسلامي وعلاقة المسلمين بغيرهم من أتباع الديانات المختلفة، إذ يجد الكاتب نفسه منساقا مع طابع الكتابة العامة السائدة في وقته، انتصارا للذات على حساب استقصاء المعرفة الدينية مجردة عن الأهواء والأغراض التمجيدية أو الذاتية أو الجمعية.

وعندما نقرر هذا الكلام، فإن المقصود منه ليس نفي الموضوعية في حقل الدراسات الدينية، وإنما الغرض منه:

– صعوبة الالتزام بالموضوعية في حقل الدراسات الدينية المتخصصة قديما وحديثا لارتباط الباحث ارتباطا وثيقا بمرجعيته العقدية او الفلسفية او الإيديولوجية وصعوبة التحرر التام منها، ولذا يقترح عبد الوهاب المسيري صياغة نماذج أكثر تفسيرية وأقل تحيزا للتعامل مع الظواهر النفسية والاجتماعية ومنها الدينية في مقابل النماذج الأقل تفسيرية والتي توصف بالأكثر تحيزا.

– هناك الكثير من الدراسات الإسلامية في مجال الأديان تأثرت بالجو العام السائد في مجتمعاتها سواء أكان جو جدل ورد ومناظرة، أو جو حوار وتقارب وتعارف.

– عرفت كثير من الدراسات الإسلامية المبكرة في مجال الأديان الموضوعية والالتزام بالحياد والعلمية والإنصاف في حدود الشقف المعرفي والمنهجي لذلك الوقت وهذا ما سنراه لاحقا.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

– هناك دراسات تأثرت بالثقافي والاجتماعي والشعبي فحادت نوعا ما عن الموضوعية بمفهومها المعاصر، ولكن لا بد من قراءتها في سياقاتها التاريخية والثقافية والاجتماعية بعيدا عن التسفيه والتقزيم الذي طالها من بعض الباحثين.

ثانيا: المصادر الإسلامية في دراسة الأديان:

الحديث عن المصادر الإسلامية في دراسة الأديان هو حديث عن بحر بلا شاطئ باعتبار الكثرة الكاثرة التي ميزت المصادر الإسلامية المؤسسة لعلم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، ومن هنا تاتي صعوبة تصنيف هذه المصنفات الكثيرة، فمن الباحثين من يصنفها باعتبار الموضوعات، ومنهم من يصنفها باعتبار المناهج المتبعة، ومنهم من يصنفها باعتبار الإفراد أو التضمين، ومنهم من يصنفها باعتبار العلوم التي تنتمي إليها هذه المصنفات.

وإجمالا سنشير إلى هذه التصنيفات بإيجاز لأنها ليست مقصود المقال، وإن كانت تساعد على التحليل والتشريح:

1- التصنيف باعتبار الموضوعات:

والمقصود بها التصنيف تقسيم المؤلفات على حسب موضوعات الاي تناولتها في دراستها، ويمكن إجمال الموضوعات المذكورة في هذه المصنفات إلى:

أ- **الكتب المفردة في الرد على النصارى:** مثل الرد على النصار للرسي ونفس العنوان نجده عند الكندي وابن ربن الطبري والجاحظ، وكتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد الغزالي، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد وإظهار محاسن دين الإسلام للقرطبي.

ب- **الكتب المفردة في الرد على اليهود:** مثل كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود للمهتدي السموأل بن يحيى، والاسئلة على التوراة للباجي، والحسام الممدود في

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021



الرد على اليهود لعبد الحق الإسلامي، والرسالة السبعية في إبطال الديانة اليهودية للحبر الاعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي.

ت– **الكتب المفردة في الرد على اليهود والنصارى:** مثل كتاب الجويني شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، والاجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي،

ث– **الكتب المجملة في دراسة الأديان:** مثل ما كتبه الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، وكتاب المقالات لابن الوراق، والآراء والديانات لنوبختي، والفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم...

ج– **الكتب التي اختصت بدراسة دين من الأديان عدا اليهودية والنصرانية:** ويأتي على رأسها كتاب أبو الريحان البيروني في كتابه: "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"

ح– **الكتب التي تضمنت دراسة للأديان:** ككتب التاريخ والتفسير وأدب الرحالة، ومثال هذا ما كتبه المسعودي في مروج الذهب، والإدريسي في نزهة المشتاق، وابن بطوطة في تحفة النظار.

2– التصنيف باعتبار المناهج:

وباعتبار المناهج المتبعة أو طريقة التناول في دراسة الأديان يمكن تقسية المصنفات إلى ثلاثة أقسام:

أ– كتب الجدل والردود:

وهي أكثر الكتب تأليفا في مجال الدراسة العلمية للأديان في الفكر الإسلامي، وأغلبها في الرد على اليهود والنصارى باعتبارهما أكثر الأديان انتشارا في الحضارة الإسلامية من جهة، ومن جهة ثانية أكثر الأديان تفاعلا مع الفكر الإسلامي من حيث

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021



الجدل والدفاع والرد والنقد، وعلى الرغم من كثرة التآليف في هذا المجال إلا أن النزر القليل منها قد اتبع الطريقة السوية في النقد[1].

والملاحظ على الردود المتعلقة باليهود والنصارى أن أغلبها كذلك متعلق بالفكر المسيحي نظرا للانحراف الكبير الذي مس هذه الديانة خاصة ما تعلق بالألوهية، ومن جهة ثانية انفتاح الديانة المسيحية على الآخر عكس الديانة اليهودية ومهو ما ولّد حركة جدل ونقد متبادلة من طرف النصارى والمسلمين، ومن جهة ثالثة أن أغلب البلاد التي فتحها المسلمون أهلها نصارى مما دفع المسلمين للدفاع عن دينهم ودعوة النصارى إلى الإسلام من خلال محاولة إبطال ديانتهم وبيان محاسن الإسلام.

ب- **كتب الحكاية والتوصيف:** وهي أقل الكتب تأليفا في الفكر الإسلامي، ووظيفة هذه الكتب بيان معتقدات الديانة المدروسة من غير نقد ولا إبطال ولا مجادلة، مثل ما بسطه البيروني في كتابه تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة[2]، وما كتبه الشهرستاني في كتابه الملل والنحل[3].

يقول البيروني مبينا منهجه في الكتاب: "وأنا في أكثر ما سأورده من جهتهم حاكٍ غير منتقد إلا عن ضرورة ظاهرة"[4].

[1]- المقراني، عدنان، نقد الأديان عند ابن حزم، هرندن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: 1، 2008، ص: 68.

[2]- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، بيروت، عالم الكتب، ط: 2، 1982.

[3]- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، ت: محمد سي كيلاني، بيروت، دار المعرفة، 1404.

[4]- البيروني، المصدر السابق، ص: 19.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

ت– كتب المقايسة والمقارنة:

وهي قليلة بدورها إذا ما قورنت بكتب الجدل والردود والمناظرة، ويأتي على رأسها ما كتبه العامري في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام"[1] والذي قارن فيه بين الأديان الستة: اليهودية والمسيحية والإسلام والصابئة والمجوسية والشرك.

3- التصنيف باعتبار العلوم المؤسسة:

وهذا لأن أغلب الكتابات في علم مقارنة الأديان إنما كانت تابعة لعلوم أخرى نشأت فيها ثم استقلت عنها مع مرور الوقت، ومن هذه العلوم:

أ– علم التفسير:

يعتبر علم التفسير من أقدم العلوم التي احتضنت الدراسة العلمية للأديان المختلفة، وبهذا يشهد على قدم اهتمام المسلمين بدراسة الأديان، إذ تعود البدايات الأولى لعام التفسير إلى القرن الأول هجري، أما التفاسير الكاملة التي حفظها لنا التاريخ فترجع إلى بداية القرن الرابع مع تفسير الطبري[2] (ت: 310هـ) والزمخشري[3] (ت: 538هـ)، والرازي[4]: (ت: 606هـ).

[1]– العامري، أبو الحسن، الإعلام بمناقب الإسلام، ت: أحمد غراب، الرياض دار الأصالة، ط: 1، 1988.

[2]– الطبري، محمد ين جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن محسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 2001.

[3]– الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التتريل، دار الكتاب العربي، بيروت ط: 3، 1407 هـ.

[4]– الرازي، أبو عبد الله محمد، مفاتيح الغيب–التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 3، 1420 هـ.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

والملاحظ على علم التفسير أنه لم يكن يقصد دراسة الأديان لذاتها، وغنما كان الغرض من تناولها هو بيان مراد الله من ذكرها والتعريف بها فقط، ولذا تناولها في علم التفسير كان مقتضبا بقدر الحاجة إلى بيان مراد الله.

ب– أدب الرحالة:

العلم الثاني الذي ازدهرت فيه الدراسة العلمية للأديان بشكل أفضل من علم التفسير هو أدب الرحالة، وما دونه الرحالة من تفاصيل بخصوص أديان ومعتقدات الشعوب التي مروا عليها.

وما يلاحظ على علم التفسير يلاحظ كذلك على أدب الرحالة، وهو أن دراسة الأديان لم يكن مقصودا لذاته في كتاباتهم، وإنما هو توصيف لجانب من جوانب الحياة لدى الشعوب والأمصار التي مروا عليها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن أغلب الرحالة في توصيفهم للأديان إنما يصفون ويحكون على الدين الشعبي الممارس من طرف عامة الناس، وليس الدين الرسمي المدون في مصادرهم الدينية الرسمية.

ومن أهم الكتب في هذا التصنيف وأشهرها وأكثرها نفعا ودقة وعلمية كتاب البيروني السابق الذكر "تحقيق ما للهند من مقولة"[1]، وكتاب المسعودي "مروج الذهب"[2]، والإدريسي "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"[3] وابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"[1].

---

[1]– البيروني، مصدر سابق.

[2]– المسعودي، أوب الحسن، مروج لذهب ومعادن الجوهر، ت: كمال حسن مرعي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 1973.

[3]– الإدريسي، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1409هـ.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021



ت– علم التاريخ:

يعتبر علم التاريخ وعلم الكلام أكثر علمي تضمنا الدراسة العلمية للاديان في الفكر الإسلامي، فالمؤرخون في كتاباتهم اهتموا اهتماما كبيرا بديانات الشعوب التي أرخوا لها، وبعض الباحثين يصنف هذه الكتابات في علم تاريخ الأديان وليس علم مقارنة الأديان، والذي أراه أنها تصب في كلا العلمين باعتبار أن تاريخ الأديان ومقارنة الاديان لم يظهرا بشكلهما الذي هما عليه في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبذلك يمكن اعتبار تلك الكتابات ممهدة لظهور الدراسة العلمية للأديان في العصر الحديث في كل تخصصاتها المختلفة.

ومن جملة ما كتب في هذا المجال، كتاب "التاريخ" لليعقوبي[2]، و"مروج الذهب"[3] و"التنبيه والإشراف"[4] للمسعودي، و"البدء والتاريخ"[5] للمقدسي، وغيرها من النماذج لأخرى.

ث– علم الكلام:

أهم علم نشأت فيه الدراسة العلمية للأديان هو علم الكلام، والدليل ذلك الكم الهائل من المؤلفات في الأديان والتي يمكن تصنيفها مباشرة ضمن مباحث علم الكلام،

---

[1]– ابن بطوطة، محمد بن عبد الله أو عبد الله، ة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: 1، 1987م.

[2]– اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، ت: عبد الله مهنا، 1993.

[3]– المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق.

[4]– المسعودي، أبو الحسن، التنبيه والإشراف، ت: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ب ت.

[5]– المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاهتمام البالغ لعلماء الكلام بدراسة الأديان بغرض الذود عن الإسلام والدفاع عنه، ونشر تعاليم الدين من خلال التعرف على الآخر ونقد ديانته وإبطالها حتى يتسنى له الدخول في الإسلام بكل سهولة.

والمستقرئ للنشاط الفكري للمتكلمين في حقل الدراسات العلمية للأديان يلحظ أنها تنقسم إلى قسمين:

- **دراسات جدلية:** وقد سبق الحديث عنها في التصنيف المنهجي للأديان، وتمثل أغلب الكتابات في هذا المجال، وغرض هذه الكتابات هو بيان تهافت الأديان وبطلانها وبيان محاسن الإسلام.

- **دراسات وصفية:** وهي التي تدرس الأديان لذاتها بغرض التعرف عليها، مثل ما كتبه أبو عيسى الوراق[1]، والنوبختي[2]، والبلخي[1]، والأشعري[2]، والبغدادي[3]، والشهرستاني[4].

---

[1]– الوراق، أبو عيسى محمد بن هارون الوراق البغدادي، ت: 247 هـ، بالرملة العراق، من المتكلمين وكان معزليا، ثم خلط وانتهى به الأمر إلى القول بالاثنين، وكان للمعتزلة السبق في اتهامه بذلك، بينما يعده الاثني عشرية من رجالهم، قال عنه صاحب الرواشح "من أجلة المتكلمين في أصحابنا وأفاضلهم" وأكثروا من النقل عنه. (نقلا عن: جهود ابو عيسى الوراق في علم مقارنة الأديان كتاب المقالات نموذجا، عبد الرحمان الطوسي، مجلة الدراسات الدينية، عدد: 1، ديسمبر 2014، ص: 28) من أشهر كتبه في الأديان كتاب المقالات.

[2]– **النوبختي،** عَلِيُّ بنُ العَبَّاسِ. شَاعر مُحسن أَخْبَارِيّ مَشْهُوْرٌ، رَئِيْس، وَلِيَ وَكَالَةَ المقتدِر، وَعَاشَ ثَمَانِيْنَ سَنَةً، تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ، وَكَانَ ابْنُه صَدْراً كَاتِباً كَانَ مدبِّرَ أُمُورِ ملك الأمراء محمد بن رائق، العَلاَّمَةُ ذُو الفُنُوْنِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ مُوْسَى النُّوْبَخْتِيُّ، الشِّيْعِيّ، المُتَفَلْسِفُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْف، ذكره مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ النَّدِيْم، وَابْنُ النَّجَّار بِلاَ وَفَاة، وَله كِتَابُ "الآرَاء"

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021



ثالثا: الموضوعية في المصادر الإسلامية في دراسة الأديان:

المستقرئ للكتب الإسلامية في الملل والنحل على كثرتها وتنوعها واختلافها، يجد أن أغلب مؤلفيها قد حاولوا الالتزام بالموضوعية والعلمية في كتاباتهم قدر المستطاع، وذلك من خلال الالتزام بمجموعة من القواعد التي تضمن على الأقل البعد عن الذاتية وتضييق دائرة التحيز، والحديث عن الأديان عن بصيرة وعلم، ومن هذه القواعد المنهجية الضرورة التي تضمن قدرا كافيا من الموضوعية الآتي:

1- الرجوع إلى المصادر

أول نقطة منهجية في طريق البحث الموضوعي هي الرجوع إلى المصادر الأساسية والأولية لكل دين من الأديان أو فرقة من الفرق المعنية بالدراسة، وفي مجال البحث في علم مقارنة الأديان أو البحث في المتعلق بالظاهرة الدينية بصفة عامة فإن جمع المعلومات

و"الديَانَات"، وكتَاب "الرَّدِّ عَلَى التَّنَاسخيَّة"، وكتَابُ "التَّوحيد وَحَدَث العَالَم"، وكتاب "الإمامة" وأشياء. (الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، دار الحديث القاهرة، 2006، ج: 11، ص: 519)

[1]– **البلخي**، شيخ الحنفية، أبو جعفر بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ البَلْخِيُّ، مَنْ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ، ويلقَّب بِأَبِي حَنِيْفَةَ الصَّغِيْرِ، حدَّث عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَقِيْلٍ البَلْخِيِّ، وتفقَّه بِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي سَعِيْدٍ. أَخذَ عَنْهُ أَئِمَّةٌ، ويُعْرَف أَيْضاً بِالهِنْدوَانِيِّ، مِنْ أَهْلِ محلَّةِ بَابِ هِنْدوَانَ، مَاتَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وستين وثلاث مائة في عشر السبعين. (الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج: 12، ص: 209)

[2]– الأشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلامين واختلاف المصلين، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة: الثالثة، 1400 هـ – 1980 م عدد الأجزاء: 1

[3]– عبد القهار البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: 2، 1977.

[4]– الشهرستاني، المصدر السابق.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

من مصادرها القانونية والمعترف بها تعتبر أول نقطة تعبد الطرق نحو الموضوعية أو البعد عنها، ومن المصادر الأساسية للأديان التي ينبغي الرجوع إليها:

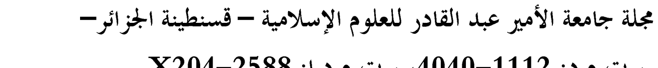
أ– الكتب المقدسة:

لكل دين من الأديان المعروفة اليوم سواء الباقية أو المندثرة لها كتاب أو كتب مقدسة، وضعها مؤسسوها أو جاءت معهم، أو وضعها أتباعهم من بعدهم، وفي البحث الموضوعي لا بد من الرجوع إلى هذه الكتب أثناء الحديث عن هذه الأديان.

فالحديث عن اليهودية يقتضي الرجوع إلى التناخ والتلمود، والحديث عن المسيحية يستوجب الرجوع إلى كتب العهج الجديد والقديم، والحديث عن الهندوسية يتطلب على الأقل الفيدات وشوروحاتها واختصاراتها لأنها تعتبر كلها مقدسة عندهم، كما يتطلب الأمر الرجوع إلى قوانين مانو، والحديث عن البوذية يقودنا إلى تعاليم تلامذته وشريعة بالي التي ألفت سنة 29 ق.م أي بعد وفاة بوذا بحوالي 454 عام، كما أن الحديث عن الزرادشتية يقتضي الاطلاع على كتاب أبستاق (أفستا)، والحديث عن الصابئة يستدعي الحصول على كتاب الكنز العظيم (كِنْزاربا).

ولقد استعان علماء الإسلام في كلامهم على الأديان على ما وجدوه في كتبهم، وإن كان هذا الحكم لا ينطبق على كل الكتابات، إلا أنه موجود في الأصل الكتابات، باعتبار أن المنهج السائد في الكتب الإسلامية المتعلقة بالردود والجدل هو تأثر اللاحق بالسابق، فابن القيم يأخذ عن ابن تيمية والشهرستاني يأخذ عن الجاحظ والمقدسي والمسعودي، وهكذا.

وهذا لا يعني أن اللاحق اكتفى بذكر ما سبقه إليه غيره، بل زيادة على هذا نجدهم يحاولون الرجوع إلى المصادر قدر المستطاع.


مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشهرستاني في كتابه: "**وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، أو أن أعين حقه من باطله**"[1].

ويصرح ابن حزم أنه رجع إلى رسائل بولس في نقده للمسيحية فيقول: "**وقال هذا النذل بولس في بعض رسائله الخسيسة... فهل في بيان قحة هذا النذل وسخريته بمن اتبعه وتحقيق ما تدعيه اليهود من ان أسلافهم دسوا هذا النذل بولس لإضلال أتباع المسيح عليه السلام أكثر من هذا القول في إبطاله الآيات والحكم**"[2].

كما أن الكثير من المهتدين إلى الإسلام أمثال الحكيم السموأل وعبد الحق الإسلامي، وإسرائيل بن شموئيل، وعلي بن ربن الطبري كانوا على اطلاع واسع بالكتب المقدسة للديانة اليهودية والمسيحية، وقد اعتمدوا على ما فيها من نصوص لنقدها وبيان فساد ما في من عقائد وشرائع.

يقول ابن ربن الطبري موضحا اعتماده على ما هو موجود في كتبهم: "**وشرحت فيه ما يلزم أصناف النصارى كلهم، واحتججت عليهم بمائة وثلاثين حجة من كتب الأنبياء، سوى الحجج البرهانية والأمثال المضروبة والمقاييس الباهرة...**"[3].

ويقول عبد الله الترجمان في كتابه تحفة الأريب: "**الرد على النصارى في دينهم وثبوت نبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بنص التوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء**"[1].

---

[1]– الشهرستاني، الملل والنحل، ج: 1، ص: 07.

[2]– ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، ج. 2، ص: 71.

[3]– علي بن ربن الطبري، الدين والدولة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: 1، 1973، ص: 45.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021



ونجد الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الاورشليمي يقول في كتابه الرسالة السبيعية: "**فإن كان الأحبار طلبوني من كل قلوبهم بسؤالهم ان يروا ما رأيتهن وما الذي حملني على ذلك، ...فليكرروا مطالعة رسالتي ...وليراجعوا الشهادات التي عرفت عنها، المأخوذة من كتبهم الدالة على اسم المصطفى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته وتشكيلاته وأعماله، مع شرح بعض التحريف الموجود في كتبهم...**"[2].

ب– الكتب التفسير والشروحات:

من الضروري فهم النصوص المقدسة في الأديان كما هي عند أصحابها، وتكمن أهمية كتب الشروحات والتفسيرات في إزالة الغموض واللبس في العبارات والجمل والفقرات التي تحتمل أكثر من معنى، وبالرجوع إليها يفهم النص كما هو شائع عند أصحابه.

ولا بد من الإشارة هنا أن هذه الشروح والتفسيرات تختلف من حيث الأهمية والمكانة، فكلما كانت قريبة من عهد التأسيس، أو كانت مؤلفة من طرف رجال دين بارزين كلما زادت أهميتها ومكانتها، بالإضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الشروحات والتفسيرات تختلف من مدرسة إلى أخرى، ومن اتجاه إلى آخر، ومن فرقة إلى أخرى.

ففي كل دين تقريبا اتجاه يعتمد على العقل في التفسير والشرح، كما يوجد اتجاه آخر يعتمد على النقل، وأخر يعتمد على التفسيرات الباطنية والروحية، كما أن جل

---

[1]– محمد عبد الله الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تقديم محمود علي حماية، ط: 3، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص: 60.

[2]– إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، الرسالة السبيعية، ت: عبد الوهاب طويلة، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، 1989 ص: 9.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

الأديان تنقسم إلى فرق واتجاهات كثيرة، ولكل فرقة أو اتجاه تفسيراته للنصوص تختلف عن رؤية الآخر.

وهنا نورد قول **الشهرستاني** الذي يذكر فيه بكل وضوح ودقة هذا الأمر المهم في الدراسات الدينية حيث يقول في كتابه الملل والنحل: "**وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم**"[1].

2- الاستقراء:

الاستقراء في مجال الدراسات الدينية يقتضي التتبع الدقيق لكل ما يتعلق بالدين محل الدراسة، سواء تعلق الأمر بالكتب المقدسة أو المصادر بصفة عامة، أو تعاقب الأمر بالشرائع والعقائد والطقوس ودور العبادة.

والاستقراء يفضي إلى بيان التطور أو الاستقرار أو التحول الذي قد يطرأ على الأديان وأتباعها، كما يفضي إلى بيان الاختلافات الموجودة داخل النصوص المقدسة نفسها، أو داخل الدين كله باختلاف فرقه واتجاهاته ومدارسه، كالاختلافات الحاصلة بين الفرق المسحية المختلفة قديما وحديثا، واختلاف الأناجيل بعضها مع بعض، واختلاف نصوص الانجيل الواحد من موضع إلى آخر.

وقد مارس علماء الاسلام الاستقراء قبل الحكم على المدروس من الديانات، وكمثال على هذا، نجد أكثر من واحد قبل الحكم على نصوص الأناجيل يطبق الاستقراء من أجل بيان الاختلاف والاتفاق الحاصل بينها، وهذا ما ؟ أكده القاضي عبد الجبار في كتابه تثبيت دلائل النبوة: "وَإِنَّمَا مَعَهُمْ أَرْبَعَةُ أَنَاجِيلَ لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، كَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِنْجِيلَهُ فِي زَمَانِهِ، وَجَاءَ مَنْ بَعْدَهُ فَمَا رَضِيَ إِنْجِيلَ غَيْرِهِ، وَكَانَ

[1]– الشهرستاني، الملل والنحل، ص: 16

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

إِنْجِيلُهُ أَوْلَى . وَهُمْ يَتَّفِقُونَ فِي مَوَاضِعَ، وَيَخْتَلِفُونَ فِي مَوَاضِعَ ؛ وَفِي بَعْضِهَا مَا لَيْسَ فِي بَعْضٍ ... وَفِيهَا مِنَ الْمُحَالِ وَالْبَاطِلِ وَالسُّخْفِ، وَالْكِذْبِ الظَّاهِرِ، وَالتَّنَاقُضِ الْبَيِّنِ، شَيْءٌ كَثِيرٌ **وَقَدْ تَتَبَّعَهُ النَّاسُ وَأَفْرَدُوهُ**، وَإِذَا قَرَأَهُ الْمُتَأَمِّلُ عَرَفَ ذَلِكَ، وَفِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَسِيحِ وَوَصَايَاهُ وَأَخْبَارِهِ قَلِيلٌ"[1].

3- المخالطة والمعاشرة:

من الإجراءات المنهجية المهمة الضامنة للحد الأدنى من الموضوعية هو المخالطة المباشرة لأتباع الديانة المدروسة، وهذا راجع إلى أن كل دين من الأديان المنتشرة له جانب رسمي قانوني كما هو مدون في الكتب المقدسة وكتب التشريع والعبادة، وله جانب آخر يمكن تسميته بالجانب الشعبوي، وهو الدين كما هو ممارس على أرض الواقع، وعند المخالطة والمعاشرة يمكن للباحث حصر الفروق بين ما هو رسمي وما هو شعبوي من جهة، ومن جهة ثانية يمكن للباحث رصد التطور والاختلاف الذي قد يطرأ على الدين المدروس.

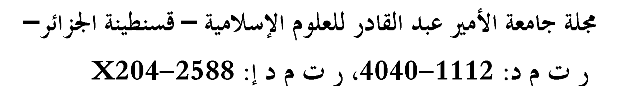
ولقد تفطن بعض علماء الإسلام إلى هذه النقطة المنهجية في كتاباتهم عن الأديان، فنجد أكثر من واحد يصرح بما سمعه من أحبارهم، أو ما وجده في حياتهم، وخاصة مخالطتهم لمن أسلم منهم، من رؤسائهم وأحبارهم، إذ كثيرا ما تتردد هذه العبارة في كتب الردود والجدل والفرق: **"أخبرني من أسلم منهم"**[2] وعبارة: **"قال لي أحد رؤسائهم"**[3].

4- المقارنة:

[1]- القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى شبرا، القاهرة، ص: 154.155

[2]- ابن حزم، الفصل، ج: 1، ص: 111، ج: 2، ص: 38....

[3]- ابن حزم، الفصل، ج: 1، ص: 94....

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

تأتي المقارنة بعد التحليل أو بعد الاستقراء، وعند الدراسات الدينية، وفي علم مقارنة الأديان، يجد الباحث نفسه يقارن بين النصوص بعد تحليلها أو بعد استقرائها مقارنة إما داخلية وإما خارجية، والهدف من المقارنة هو بيان الارتباط والاختلاف والتوافق الذي قد يكون بين الأديان المختلفة، أو من أجل بيان التأثير والتأثر الحاصل بين الأديان سواء السماوية منها أو الوضعية، أو من أجل بين التطور الحاصل في الدين الواحد من حيث النصوص والشرائع والعقائد والفرق والمؤسسات الدينية والمجتمع المؤمن.

والمتفحص للمكتبة الإسلامية في مجال الأديان يجد أن أكثر من واحد قد طبق المقارنة في دراسته من أجل النقد أو الوصف أو النقض، وكمثال على هذا نجد ابن حزم –رحمه الله– في مقدمة كتابه الفصل يرجع كل الديانات والفرق إلى آراء ستّ فرق اساسية تشكلت منها وتأثرت بها ومزجت فكرها من آرائها، فيقول –رحمه الله–: "رؤوس الفرق المخالفة الدين الإسلام ست ثم تتفرق كل فرقة من هذه الفرق الست على فرق....وقد تحدث من خلال هذه الأقوال آراء هي منتجة من هذه الرؤوس ومركبة منها، فمنها ما قد قالت به طوائف من الناس مثل ما ذهبت إليه فرق من الأمم بالقول بتناسخ الأرواح أو القول بتواتر النبوات في كل وقت أو أن في كل نوع من أنواع الحيوان أنبياء ومثل ما قد ذهب إليه جماعة القائلين به وناظرتهم عليه من القول بأن العالم محدث وأن له مدبرا لم يزل إلا أن النفس والمكان المطلق وهو الخلاء والزمان المطلق لم يزل معه"[1].

وكمثال يشهد على المقارنة يذكر ابن القيم في كتابه "هداية الحيارى": "المقصود أن الاضطراب الموجود في الإنجيل يشهد بأن التغيير وقع فيه قطعا، ولا يمكن أن يكون

[1]– ابن حزم، الفصل، ج: 1، ص: 14

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021



ذلك من عند الله، وأنت إذا اعتبرت نسخه، ونسخ التوراة التي بين اليهود والسامرة والنصارى رأيتها مختلفة اختلافا يقطع من وقف عليه أنه من جهة التغيير والتبديل"[1].

5- الوصف:

المقصود من الوصف هنا ليس المنهج الوصفي الذي تستعمله الدراسات الحديثة وخاصة الميدانية منها، لأن هذا لم يكن معروفا ولا ممارسا بكل إجراءاته المنهجية قديما، وغنما المقصود من الوصف هو توصيف الديانة بعقائدها وشرائعها وطقوسها وعباداتها كما هي موجودة عند أصحابها سواء من خلال مصادرها الأساسية أو ممارسة المجتمع المؤمن لها في أرض الواقع، من غير زيادة ولا نقصان، ولا نقد ولا تقويم.

والفائدة من الدراسة التوصيفية أو الوصفية للدين هي تشريح الديانة وتحليلها من كل الجوانب قصد فهمها واستيعاب فلسفتها أولا، ومن ثم تسهيل عميات المقارنة والمقاربة والنقد والرد، سواء من طرف نفس الدارس، أو من طرف غيره.

وأشهر من مارس الدراسة الوصفية للأديان البيروني والشهرستاني، وهنا نلحظ الإشكال المنهجي الذي طغى على الدراسات الإسلامية الكلاسيكية للأديان، فتجربة البيروني مثال على الدراسات القليلة التي استطاع أصحابها تجاوز حدود التجربة الدينية الذاتية، ليصف تجارب دينية أخرى بموضوعية كبيرة[2]، فمن خلال كتابه يمكن القول بأن بدايات المنهج الوصفي أو الفينومينولوجي ظهرت قبل ألف سنة مع البيروني الذي درس الهندوسية من مصادرها الأساسية، وترجم بنفسه، في هذا السبيل، بعض كتبها المقدسة

[1]– ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى، ت: محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، ط: 1، 1416هـ – 1996م، ص: 429– 430.

[2]– أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، 1983.


مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

إلى العربية، داعيًا إلى نقل الحقائق مباشرة عن أولئك الذين نُخبِر عنهم، بعيدًا عن الهوى والجهل واعتماد روايات الآخرين، وأقام مقارنة وصفية في بعض جوانب الدين بين الهنود، من ناحية، وبين المسلمين والمسيحيين، من ناحية أخرى.

وفيما يخص كتابات الشهرساني من خلال كتابه "الملل والنحل" نجد "**إريك شارب**" يذكر بأن شرف كتابة أول تاريخ للأديان في العالم يختص به **الشهرستاني** الذي **وصف أديان العالم العشرة المعروفة آنذاك إلى حدود الصين وصنفها اعتمادا على منهج تاريخي سديد لم يكن لأي كاتب مسيحي في عصره أن يكتب مثله.**

This outstanding work outstrips anything which Christian writers were capable of producing at the same period[1].

6– اللغة:

يعتبر الإلمام باللغات من أهم الإجراءات المنهجية الضامنة للموضوعية في الدراسات الدينية، والاطلاع على الكتب المقدسة ومصادر الأديان الأساسية لا يتأتى إلا باللغة التي كتبت بها في الكثير من الأحيان، خاصة إذا كانت هذه الكتب غير مترجمة إلى لغة الدارس أو اللغة الاكثر استعمالا وتداولا في البحوث الأكاديمية خاصة في وقتنا اليوم.

وإذا رجعنا إلى المؤلفات الإسلامية في الأديان وجدنا أن بعض العلماء كانوا على دراية ببعض اللغات للأديان المدروسة، فأبو عيسى الوراق كان يتقن اللغة الفارسية في دراسته للديانة الزرادشتية، وأبو الريحان البيروني في دراسته عن أديان الهند كان يتقن اللغة السنسكريتية، وكثير ممن اهتدى إلى الإسلام كان على دراية باللغة التي كان عليها قبل دخوله في الإسلام، أمثال الحكيم السموأل الذي كام من أعظم أحبار اليهود وكان

1– Eric J. Sharpe, Comparative Religion: A History, (New York, 1975), p: 11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477- 506 تاريخ النشر: 21-10-2021

لإسلامه أثر كبير على اليهود مما دفع ابن كمونة لكتابة "تنقيح الملل الثلاث" ردا على كتاب السموأل "بذل المجهود في إفحام ليهود".

ولكن للأمانة العلمية لا بد من الإشارة إلى أن كثيرا من علماء الإسلام ممن كتب في الأديان والفرق لم يكن على بينة من اللغات المختلفة، لذا يعتبر بعض الباحثين أن هذه نقطة ضعف منهجي في الكتابات الأولى لدى المفكرين المسلمين[1]، وبالمقابل أرى أن هذه النقطة قد تكون صحيحة في حالة عدم رجوع المؤلفين إلى المصادر الأساسية، وتنتفي حالة الرجوع إلى المصادر ولو بلغات أخرى وترجمات إلى اللغة العربية، وهو ما أثبته أكثر من واحد بأن أغلب علماء الإسلام قد رجعوا في تصنيفاتهم إلى خلاصات وترجمات باللغة العربية [2].

الالتزام بالموضوعية:

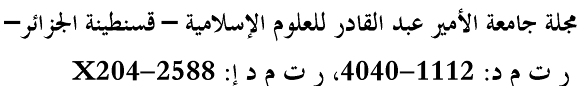
من خلال ما سبق توضيحه من نقاط مهمة وإجراءات منهجية تساعد الباحث على التحلي بقدر كافي من التوصيف الموضوعي، والدراسة العلمية الرصينة البعيدة عن العواطف والمشاعر والآراء الذاتية، وما وضحناه من بعض الأمثلة في كتابات علماء الإسلام في الأديان، يمكننا الآن ذكر بعض النماذج التي تحلت بقدر لا بأس به من الموضوعية في كتاباتها حول الأديان، أو على الأقل بيان الوعي العلمي بهذه القضية المنهجية من خلال كلامهم الصريح حول هذه النقطة المنهجية.

أ- ابن حزم وكتابه الفصل في الملل والاهواء والنحل:

---

[1]- إبراهيم تركي، علم مقارنة الاديان عند مفكري الإسلام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص: 100.

[2]- مرجع سابق، ص: 100.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

يقول ابن حزم- رحمه الله- في كتابه "الفصل_في_الملل_والأهواء_والنحل" "فَإِن كثيرا من النَّاس كتبُوا فِي افْتِرَاق النَّاس فِي دياناهم ومقالاتهم كتبا كَثِيرَة جدا فبعض أَطَالَ وأسهب وَأَكْثر وهجر وَاسْتعْمل الأغاليط والشغب فَكَانَ ذَلِك شاغلاً عَن الْفَهم قَاطعا دون الْعلم وَبَعض أحذف وَقصر وقلل وَاخْتصرَ وَاضْرِبْ عَن كثير من قوي معارضات أَصْحَاب المقالات فَكَانَ فِي ذَلِك غير منصف لنَفسهِ فِي أَن يرضى لَهَا بالْغبنِ فِي الْإِبَانَة وظالماً لخصمه فِي أَن لم يوفه حق اعتراضه وباخساً حق من قَرَأَ كِتَابه إِذا لم يغنه عَن غَيره وَكلهمْ إِلَّا نحلة الْقسم عقد كَلَامه تعقيداً يتَعَذَّر فهمه على كثير من أهل الْفَهم وَحلق على الْمعَانِي من بعد حَتَّى صَار ينسي آخر كَلَامه أَوله... فجمعنا كتَابنَا هَذَا مَعَ استخارتنا الله عز وَجل فِي جمعه وقصدنا بِهِ قصد إِيرَاد الْبَرَاهِين المنتجة عَن الْمُقدمَات الحسية أَو الراجعة إِلَى الْحس من قرب أَو من بعد على حسب قيام الْبَرَاهِين الَّتِي لَا تخون أصلا مخرجها إِلَى مَا أخرجت لَهُ وَألا يَصح مِنْهُ إِلَّا مَا صححت الْبَرَاهِين الْمَذْكُورَة فَقَط إِذْ لَيْسَ الْحق إِلَّا ذَلِك وبالغنا فِي بَيَان اللَّفْظ وَترك التعقيد راجين من الله تَعَالَى على ذَلِك الْأجر الجزيل وَهُوَ تَعَالَى ولي من تولاه ومعطي من استعطاه لَا إِلَه إِلَّا هُوَ وحسبنا الله وَنعم الْوَكِيل[1]"

ومن خلال ما ذكره ابن حزم في مقدمة كتابه ولكي تكون موضوعيا لابد من اتباع النقاط الآتية:

1- الابتعاد عن الإطالة والإسهاب المفضي إلى استعمال الأغاليط والشغب الشاغل دون الوصول إلى الفهم الصحيح لما هو الحال عند المخالف.

2- الابتعاد عن التقليل والتقصير والاختصار المفضي إلى وجود الخلل والحذف والإحجام عن ذكر الكثير من مقالات وأدلة أهل الديانات، والإضراب عن درئ

1- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477- 506 تاريخ النشر: 21-10-2021

مقالاتهم بالأدلة والحجج القوية، وهذا في رأي ابن حزم ضرب من الظلم، أولا لصاحب المقالة، وثانيا للمخالف، وثالثا للقارئ.

3- الابتعاد عن التعقيد المفضي إلى تصعيب الفهم وتعقيد المعاني ونسيان المبان، وهنا إشارة إلى التركيز على النقاط المراد دراستها دون استطراد ولا اسهاب الذي من شأنه التأثير على روح الافكار الأساسية.

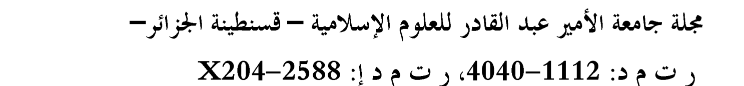
4- ذكر الأدلة والبراهين والحجج المبنية على المقدمات الحسية البينة الواضحة والبعيدة عن التعقيد.

ب- أو الحسن الأشعري وكتابه مقالات الإسلامين واختلاف المصلين:

يقول **أبو الحسن الأشعري** في كتابه **"مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين"** :
"فإنه لا بد لمن أراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ويصنفون في النحل والديانات من بين مقصر فيما يحكيه وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه ومن بين معتمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين ومن بين من يضيف إلى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطناء المميزين فهداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمست شرحه من امر المقالات واختصار ذلك وترك الاطالة والاكثار وانا مبتدىء شرح ذلك بعون الله وقوته[1]"...

مما تفطن إليه علماؤنا الأجلاء ومنهم أبو الحسن الأشعري في حديثهم عن الأديان والتزامهم الدقة في العرض والتحري في الحكاية الآتي:

[1]- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1411هـ/1990م) ج1، ص33.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

1– الابتعاد عن التقصير في الحكاية، وقد أشار إليها ابن حزم كما أشرنا إلى ذلك سابقا بقوله: "**وَبَعض أحذف وَقصر وقلل وَاخْتصرَ وَاضْرِبْ عَن كثير من قوي معارضات أَصْحَاب المقالات**".

2– الابتعاد عن المغالطة في ذكر أقوال المخالفين، وهذا ما أشار إليه ابن حزم بقوله: "**وَاسْتعْمل الأغاليط والشغب**"

3– الابتعاد عن تعمد الكذب والتشنيع على المخالفين، وهذا من باب الاعتقاد أن الحجة تلزمهم به.

4– التقصي في الرواية لأن هذا هو سبيل الربانيين.

ويصف أبو الحسن الأشعري كل من يحيد عن هذه النقاط **بالبعد عن الربانية والفطنة والتمييز**، لأنه حتما سيدخل في ظلم المخالفين والافتراء والتشنيع عليهم بغير حق.

ج– أبو الحسن العامري وكتابه: "الإعلام بمناقب الإسلام"

يقول العامري (ت: 382 ه) في كتابه: "الاعلام بمناقب الإسلام" متحدثا عن هذه الأخطاء المنهجية الشائعة في الدراسات الدينية: "...إن تبيان فضيلة الشيء على الشيء بحسب المقابلات بينهما قد يكون صوابا وقد يكون خطأً، وصورة الصواب معلقة بشيئين أحدهما ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، أعني ألا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك، والآخر: ألا يعمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق غير مستفيضة في كافتها فينسبها إلى جملة طبقاتها[1]"

---

[1]– أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: أحمد عبد الحميد غراب، (الرياض: دار الأصالة، ط1، 1408هــ/1988م)، ص125

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021



وعند تحليل ما ذكره العامري يتبن لنا أن دراسة الظاهرة الدينية منذ القديم تتراوح بين الدقة في الطرح وتحري الموضوعية قدر الإمكان وبين المشاغبة الفكرية وتعمد التشنيع على المخالف.

ومن وجوه القصور التي يقع فيها الباحث في حقل الدراسات الدينية وبالخصوص في مقارنة الأديان هو إيقاع المقايسة والمقارنة بين الأشكال غير المتجانسة، فيقارن الأصل بالفرع أو العقدي بالتعبدي والشعبي بالرسمي وغيرها.

وهناك خطئ شائع عند المتخصصين وغيرهم، وهو التعميم، فيتحدث عن خصلة أو عقيدة أو شريعة أو طقس من الطقوس تتصف به فرقة من الفرق فينسبه إلى عموم تلك الديانة دون تقصي ولا بحث ولا دقة، فتجده يقول: وتقول النصارى بكذا، ويعتقد اليهود بكذا، ويؤمن الهندوس بكذا، وهو لا يدري أن تلك الديانات فرق وملل وأهواء ونحل ...

الخاتمـــة:

في ختام هذه الدراسة أريد أن أو ضح نقطة مهمة، وهي أن الغرض من الدراسة ليس تمجيد ولا تقديس ولا تتريه الدراسات الإسلامية المتعلقة بدراسة الأديان من الخطأ والنقصان، فكما أن هناك نصوص كثيرة وإشارات عدة مواضع متكررة في هذه الدراسات تثبت التزام علماء الإسلام بالموضوعية في دراساتهم، يمكن للقارئ أن يجد نصوصا أخرى ومواضع متفرقة في كتاباتهم يستدل بها على عدم موضوعيتهم وتحزهم وعدم التزامهم لا بالعلمية ولا بالموضوعية.

وهذا أمر طبيعي جدا إذا علمنا أن هذه الدراسات إنما كتب بعضها قبل عشرة قرون من عصرنا، وأنها كانت كتابات مؤسسة لعلم جديد بدأت بوادر ظهوره مع فجر الإسلام، وأن ما يلاحظ على بعض الكتابات من عدم التزامها بالموضوعية والعلمية لا بد

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

وأن يربط بمعرفة السياقات التاريخية التي كتب فيها هؤلاء العلماء مؤلفاتهم، فللظروف السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية دورها في التأثير على المؤلف سواء على اللغة المستعملة، أو المنهج أو الأدلة التي وظفها المؤلف في مجاله ومناقشة أهل الأديان الأخرى.

ومن جهة أخرى، لا بد من الأخذ بالحسبان، أن هذه الكتابات بسلبياتها وإيجابياتها هي كتابات مؤسسة لعلم مقارنة الأديان، وطبيعي في كل علم أن تكون البدايات فيه غير النهايات، فلكل علم بداية ونشأة وتطور واستقرار وأحيانا حتى الأفول يعرض على بعض العلوم، فلذلك لا حرج إذا تميزت بعض الكتب الإسلامية في مجال الأديان بالحيد عن الموضوعية والمنهجية والعلمية، خاصة وأننا ذكرنا سابقا أن هناك كثرة كاثرة من المؤلفات الإسلامية التي تناولت الظاهرة الدينية بالدراسة بمختلف المناهج والدوافع والغايات.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المسيري، عبد الوهاب، إشكالية التحيز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1995، ج2.

2- بكار عبد الكريم، فصول غي التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط: 2، 1998.

3- الحافي، عامر، الموضوعية في دراسة الأديان، مجلة اسلمة المعرفة، العدد: 60، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2010.

4- المقراني، عدنان، نقد الأديان عند ابن حزم، هرندن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: 1، 2008.

5- البيروني، أو الريحان محمد بن أحمد، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، بيروت، عالم الكتب، ط: 2.

6- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، ت: محمد سي كيلاني، بيروت، دار المعرفة، 1404.

7- العامري، أبو الحسن، الإعلام بمناقب الإسلام، ت: أحمد غراب، الرياض دار الأصالة، ط: 1، 1988.

8- الطبري، محمد ين جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن محسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 2001.

9- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت ط: 3، 1407 هـــ.

10- الرازي، أبو عبد الله محمد، مفاتيح الغيب–التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 3، 1420 هـــ.

11- المسعودي، مروج لذهب ومعادن الجوهر، ت: كمال حسن مرعي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 1973.

12- الإدريسي، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1409هـــ.

13- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله أو عبد الله، ة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: 1، 1987م.

14- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، ت: عبد الله مهنا، 1993.

15- المسعودي، أبو الحسن، التنبيه والإشراف، ت: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ب ت.

16- المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-204X
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477- 506 تاريخ النشر: 21-10-2021



17- جهود ابو عيسى الوراق في علم مقارنة الاديان كتاب المقالات نموذجا، عبد الرحمان الطوسي، مجلة الدراسات الدينية، عدد: 1، ديسمبر 2014.

18- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ط: 8، ج: 1، بيروت دار المعرفة 2001 م.

19- Eric J. Sharpe, Comparative Religion: A History, (New York, 1975)

20- الأشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة: الثالثة، 1400 هـ – 1980 م عدد الأجزاء: 1

21- ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، ج. 2، ص: 71.

22- علي بن ربن الطبري، الدين والدولة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: 1، 1973، ص: 45.

23- محمد عبد الله الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تقديم محمود علي حماية، ط: 3، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص: 60.

24- إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، الرسالة السبعية، ت: عبد الوهاب طويلة، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، 1989 ص: 9.

25- القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى شبرا، القاهرة، ص: 154.155

26- ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى، ت: محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، ط: 1، 1416هـ – 1996م، ص: 429- 430.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 477– 506 تاريخ النشر: 21–10–2021

27- أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: أحمد عبد الحميد غراب، (الرياض: دار الأصالة، ط1، 1408هـ/1988م).

28- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1411هـ/1990م) ج1

29- عبد القهار البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: 2، 1977.

30- المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، مصر، 1999، ج: 4، ص: 192

31- إبراهيم تركي، علم مقارنة الاديان عند مفكري الإسلام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002.